متابعة

التقى فنّانون وكتّاب وأكاديميون وناشطون من مجموعة «تحالف الفنّ والثقافة» في برلين، مؤخّراً، للتنديد بقرار يصم منتقدي الاحتلال الإسرائيلي بـ«معاداة السامية»؛ «ليس فقط لأنّه لا يرى الإبادة الجماعية في غزّة، بل لأنّه يجرّم الذين يرونها»

برلين - **يزن التميمي**

قبل أسبوع من إصدار البوندستاغ (البرلمان الألماني) قراراً بعنوان «حماية الحياة اليهودية في ألمانيا والحفاظ عليها وتقويتها»، متبنّياً فيه تعريف «الرابطة الدولية لإحياء ذكرى الهولوكوست» IHRA لـ«معاداة السامية»، والذي تتمحور أغلب بنوده حول انتقاد «إسرائيل»، عُقد قبل أيام «لقاء طارئ» من تنظيم جماعة «تحالف الفنّ والثقافة» الناشطة في برلين تحت عنوان «المراقبة والرقابة والتجريم»، وذلك بعد تسريب نسخة القرار الذي جرى التصويت عليه مؤخّراً، بموافقة كلّ من «الاتحاد الديمقراطي المسيحي»، و«الحزب الاشتراكي الديمقراطي»، و«حزب الخضر»، و«الحزب الديمقراطي الحرّ»، و«حزب البديل من أجل ألمانيا»، ومعارضة «تحالف سارة فاجنكنيشت- العقل والعدالة»، وامتناع مجموعة اليسار عن التصويت.

القرار الذي أثار جدلاً واسعاً قبل إقراره وبعده في البوندستاغ، لا يُعتبر قانوناً واجبا العمل به، بل هو صياغة «إرشادية» تساعد الجهات التنفيذية أثناء اتخاذ القرارات، خصوصاً تلك المتعلّقة بقوانين الإقامة واللجوء والجنسية التي جرى تضمينها في نصّ القرار. ويرى كثيرون أنّ المستهدف الأساسي من ذلك هُم الفنّانون والأكاديميون المقيمون في ألمانيا من الذين تُحاول السلطات التضييق عليهم وإيقاف المنح والمعونات التي يتلقّونها من مراكز ألمانية، وإيجاد فرصة لسحب إقاماتهم والعمل على طردهم من البلاد، وذلك بعد النشاط الكبير الذي شهدته برلين من قبل هذه المجموعات لمناصرة الشعب الفلسطيني.

افتُتح اللقاء، الذي أقيم في «مركز عيون الثقافي»، بقراءة الممثّلة السينمائية والمسرحية سوزان ساكسه مسوّدة القرار، وقد تخلّلت القراءة أصواتٌ كثيرة تعترض وتسخر من بعض النقاط، خصوصاً التي تعيد كلّ ما هو يهودي وتختزله بوجود «إسرائيل». بعد ذلك، عُقدت جلسة حوارية أدارتها التشكيلية زوي ميلر، بمشاركة كلّ من المحامية ياسمين حمودي، والتي تنشط ضمن «منظّمة محامي التضامن مع فلسطين»، ومارك سيفل؛ أستاذ الدراسات السينمائية في «جامعة يوهانس غوتنبرغ» في مايانز، وهو يعمل حالياً مع أكاديميّين فلسطينيّين ويهود لتشكيل رابطة الأكاديميّين اليهود والفلسطينيّين في البلدان الناطقة بالألمانية، وناتاشا صدر حقيقيان؛ وهي تشكيلية من أصول إيرانية، تنشط في مجال حقوق المهاجرين ومناهضة العنصرية والاستعمار، وتدرّس في «أكاديمية الفنون» في بريمن، ويارا نصّار؛ الأنثروبولوجية والكاتبة والناشطة والفنّانة من أصول لبنانية.

وبيّنت زوي ميلر، في افتتاح الاجتماع، أنّ هذا القرار صيغةٌ جديدة لعدّة مسوّدات متعلّقة بـ«معاداة السامية» كان «البوندستاغ» يحاول التوافق عليها منذ خريف العام الماضي، وكان آخرها نسخة جرى تسريبها في الصيف، ولاقت اعتراضاً كبيراً من المجتمع المدني والأوساط الأكاديمية، ما دفع إلى تأجيل البتّ فيها ومحاولة تطويرها. ويبدو أنّه جرى الاتفاق على صياغة جديدة سُرّبت بدورها قبل أيام من عرضها للتصويت عليها، ما دفع النشطاء إلى المبادرة بعقد هذا الاجتماع الطارئ واتّخاذ موقف واضح. وترى ميلر أنّ التغييرات التي أُدخلت على المسوّدة «لا يوجد بها سوى اختلافات شكلية عن القرار الذي جرى التوصّل إليه في الصيف»، ولذلك يبقى القرار «غير دستوري وعنصرياً وخطيراً واعتداءً على حرية التعبير والحرية الفنّية والحرية العلمية، ويتعارض مع القانون الدولي. وله نتائج عكسية للغرض المعلن عنه». وتعني ميلر بهذا أنّ إعلان هذا القرار قد يؤدّي إلى عكس ما يدعو إليه؛ أي «حماية الحياة اليهودية في ألمانيا»، فالقرار، بحسب كلام البروفيسور مارك سيجل «يعزّز من شخصنة اليهودي لاستخدامها ضدّ الفلسطينيّين في المقام الأوّل وضدّ القادمين من الدول العربية وشمال أفريقيا والشرق الأوسط»، وأشار هنا إلى أنّ القرار لا يهتمّ على دولة، بل على اليهود بما هم أفراد».

وتلفت ميلر إلى أنّ من النقاط المرعبة في نصّ القرار هو أنّه يتحدّث عن «ملء الفراغات»، الأمر الذي يعني أنّ الدولة تبحث عن أساليب تكميلية للقانون، بحيث تُكسبه «استمرارية قمعية»، وهذه الثغرات التي تنوي ملأها بإجراء تغييرات قانونية، ترتبط بشكل أساسي بقوانين الإقامة واللجوء والجنسية، «ما يعني أنّ المستهدفين بها هُم الأجانب بشكل أساسي، وهو بذلك تالياً للمجموعات المهمّشة ضدّ بعضها البعض». وترى يارا نصّار في هذا السلوك من الدولة محاولة من ألمانيا «لتطهير نفسها من الهولوكوست، وذكرى الهولوكوست، من خلال إلقاء اللوم على الآخر العربي»، هذا الآخر يُرى بوصفه مصدرا لمعاداة السامية، لذا لا ترى الدولة غضاضة في تشويه سمعته وتاليب المجتمع ضدّه، وذلك «لوجود نظرة خاصّة في ألمانيا تُجاه معاداة السامية بأنّها أسوأ عنصرية ممكنة، وهو بذلك يضع حماية مجموعة معيّنة فوق حماية مجموعة أخرى».

وتضيف نصّار أنّ الدولة لا تكتفي بإلصاق تهمة معاداة السامية بالعرب، بل تُصرّ على إعادة تعريف معاداة السامية، فلو بقيت معاداة السامية مرتبطة بالعداء لليهود بوصفهم يهوداً لصعُب على الدولة اتّهام منتقدي «إسرائيل» بأنّهم معادون للسامية، خصوصاً أنّ كثيراً منهم ذوو أصول يهودية. وهنا تأتي المحاولات لإعادة التعريف، و«هذا هو الانزلاق الذي نراه من كونها كراهية لمجموعة من الناس لما هُم عليه، إلى كراهية دولة بحد ذاتها»، ثمّ تسأل: «من في نظر هذا القرار هو الضحية الحقيقية لمعاداة السامية؟ إنّهم الألمان. إنّهم الألمان أصحاب عقلية التضامن مع إسرائيل». أمّا ناتاشا صدر حقيقيان، فوصفت القرار بأنّه «عنيف، خصوصاً بعد الاستماع إليه مقروءاً بشكل علني»، ووصفت هذا العنف بأنّه عنف إبستمولوجي/ إدراكي «ليس فقط لأنّه لا يرى الإبادة الجماعية بعد عام كامل، ولا يعترف بحصول إبادة جماعية، بل هو يجرّم أيضاً رؤية الإبادة الجماعية. إنّه يجرّم أولئك الذين يرون الإبادة الجماعية».

> خطوة غير دستورية وعنصرية وتنتهك حرية التعبير
>
> ياتي القرار بعد حراك في ألمانيا لمناصرة الشعب الفلسطيني

كثيراً باليهود كأقلّية يجب حفظ حقوقها وحماية مصالحها، بل يُحاول تثبيت صورة أحادية لهذه المجموعة، بحيث تُعتبر دائماً مستهدفة ومعرّضة للخطر، وذلك من خلال «تحويل النقد السياسي المشروع لإسرائيل، وإيديولوجيتها السياسية وممارساتها، وطبيعة تأسيسها، إلى هجوم ليس فقط

الشرطة الألمانية تعترض مظاهرة مؤيّدة لفلسطين في برلين، 19 تشرين الأول/ أكتوبر 2024 (Getty)

تحالُف الفنّ والثقافة ضدّ تجريم من يرى الإبادة

آخر أقنعة ألمانيا الديمقراطية

يستحقّ التغطية

أكّدت زوي ميلر أنّ أفضل ما يُمكن القيام به في وجه مثل هذه القرارات هو العمل على كشفها وفضحها على مستوى دولي، ودعت الصحافيّين والكتّاب لينشطوا بتسليط الضوء على مثل هذه التحوّلات داخل ألمانيا، خصوصاً أنّ وسائل الإعلام التقليدية فيها لا تقوم بواجبها، واصفةً ما يحدث بأنّه «أمر مروّع، ويستحقّ التغطية عالمياً، لأنّ التطوّرات التي نشهدها هنا الآن تُسقط القناع تماماً عن وجه ألمانيا كدولة ديمقراطية ليبرالية».

شعر

أقصر من نصل وأطول من أمل

مقتطفاتٌ من أيام معي

فوزية ابو خالد

مهام أوّل النهار

تصحو النحلة تركب درّاجتها وتعب الرحيق
تصحو النملة تغسل وجهها وتجرّ حبّة سكّر
تصحو العصافير تنفض أجنحتها تعزف موسيقى الصباح
يصحو الجمل متحاملاً على قسوة الهجر يسترجع أمجاده المتلاشية
بنشوة لا تخبو في الذاكرة وإن خبت على أرض الواقع
يصحو الحصان يصهل ويمقت تحوُّل الفروسية لحلبة رهان
يصحو جابرية التاريخ بمزاج يعتمد على الطقس وينتقون رؤوساً قابلة للقطف
تصحو الغزالة تتفرّس في مرآتها وتزيّن الصحاري والغابات بجمالها وذعرها من القنّاصة
تصحو قطرة الندى تترقرق وتفدي الضوء بعمرها الخاطف
تصحو الجراح تتآوّه وتقاوم الالتئام
يصحو الموظّف يتململ ويرسل نصفه للدوام
ونصفه الآخر خامل يسمع شخيره المارّة
يصحو الحقل يتمطّى ويحصد سنابل كانت تظنّه وطنها
يصحو العمّال يفرشون أسنانهم بمعجون الصبر ويبحثون عن لقمة حلال
تصحو الحلكة يمضها الظلام وتلتمس لحظة الغلس
تصحو بلاد مستوحشة تضنيها الوحدة بعد عذابات الحمل ومخاضات الولادة تنتظر عودة الغائبين
تصحو الأمّهات
توقف الحروب
تُطهّر الجراح
تخبز الأرغفة
تُعمّم السلام
وتُجري
الحبر
والحب
والدماء الحرّة
في عروق الحياة
لعلّ وعسى
تباشير البداية
أو
نهاية مشرفة

مهام لآخر العمر

عدتُ للتوّ من فرح فاره
انتظرته بتوق
مراهق نزق
للقبلة الثانية
كنتُ مزهوّة
ببريق النجاح على جبين
نجاحي واجنحتي
بعد أن أشفقتُ عليه لعامين
من هالات السهر
وإرهاق العمل والدرس معاً
كان كلّ ما حولي بعد وداعه بالدعاء
يبدو وديعاً ومسكوناً بالدعة
لم يكن ما يوحي بأنّ شيئاً غريباً
يتسلّل بالسرّ إلى صدري
وماهي إلّا لحظات حتى وجدتُني
جسداً محموماً انقطع عنه الإرسال
ملقىً خارج مواقع
التواصل مع هذا العالم
من ألقى بي إلى حقل قاحل
وجرّدني في لمح بصر
من أوسمة قوّتي
أيام لم يكن عندي جهدٌ لعدّها
وأنا في سبات بين النوم والمنيّة
ليس ثمّة متنفّس من إقامتي الجبرية
إلّا كُتب تغيظني بقربها
ولا أستطيع قراءتها
ونافذة تنظر لي باستعطاف
ولا يمكنني فتحها
الحمّى تلعب معي بوحشية
تعبتها تقرّحات الحنجرة
وتخونني معها أنفاسي شخصياً
كم من الوقت احتاج لأصرف كورونا
بعزلتها الجارحة وآلامها المبرّحة عن
استعادة مجدها الغارب على جثّتي
كم من الصبر لاقنعها بكفّ عصفها
عمّا تبقّى من أغصان الشعر
في شجرة عمري
كانت عنيدة متمرّسة
وكان بودّي لو أستطيع ادّعاء
بأنّني كنتُ أعند
صرخات الإسعاف الدائمة
بنيويورك تخلع في هذيان
الحمّى قلبي
هل تتّجه لبيتي
لتحملني بعيداً عنّي
هل تولول نجدة لامرأة عزلاء
أصيبت بطلقة
من مسدّس مصرّح
أيّ منّا المرأة والمرأة الأخرى
تغلي إبادة غزّة في رأسي
تمدّ هبة أبو ندى
يد قصيدتها الأخيرة
من النعش
وتمسح رأسي
أقبّل يد الملاك
واترك الحمّى
تسترسل
في التنكيل بي
أتساقط بين
أنقاضي
هامدةً
لا ينبض
من هامتي لمشط قدمي
إلّا أخيلتي
كأنّي أبو الطيب
شديدُ السُّكر
من غير المُدام
أحلّق في غمام معتم
من الحمّى
وأصطدم فجأة
بصقيع السرير
ساعات دالي تتدلّى
من لوحة جدار أمامي
بشهوة المشانق للأعناق
يمضي الوقتُ
يمضي ممضاً بطيئاً
تسحق عجلاته الثقيلة مفاصلي
وتتقطّع تحت وطأته سلسلة ظهري
ومرّة أخرى يسعفني المتنبّي
من إجهادي الوجداني
أراقبُ وقتها من غير شوقٍ
مُراقبةَ المشوق المُستهام
الشعر والتشكيل يراف بحمّتي
فيما فرّ الجميع من أنفاسي
الملطّخة بشكوك RSV
البعيد وأقرب قريب
كان عليه الامتناع عن مخالطتي
كمريضية كان عليّ وحدي تدبُّر أمري
لم يكن سريراً تحتي
ولا جذع نخلة إلّا متخيّل
بعيد بعيد عنّي
لم يكن غير حسّاء
لا يُستساغ
وحبوب
احتوها في فوهة
جوفي
ثانية
دقيقة
ساعة
يوم
أسبوع
شهر
سنة
دهر
تتمرّد اللحظات العصيبة على مقياس الوقت
تبدو أقصر من نصل وأطول من أمل
لم أقدّر انحسار العارض الضاري عنّي
إلّا حين استطعتُ
التقاط هديل الأطفال
من غرفة المعيشة
مردّداً في صباح باكر
سورة الحمد
لم نكن نعود للحياةُ
حين تقطّع بنا السبل
لولا الطمع في رشفةٍ أخرىً
من رضاب الحبّ.

(شاعرة وكاتبة وأكاديمية من السعودية)

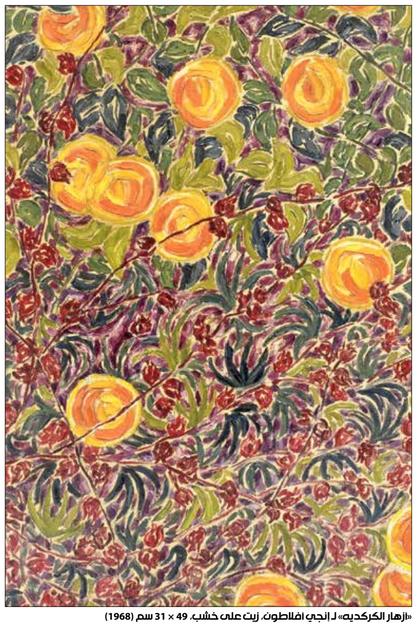

«أزهار الكركديه» لـ إلجي افلاطون، زيت على خشب، 49 × 31 سم (1968)

مشاهدة

لا شيء عودةٌ مسرحية إلى إسبانيا 1939

هواجس ما بعد الحرب الأهلية

تعود المُخرجة الإسبانية بياتريز خاين الى نصّ روائي كُتب في الاربعينيات، لتُقدّمه على خشبة المسرح، وتضمّنه اسئلة من الحياة المُعاصرة

مدريد - **العربي الجديد**

في عام 1944، ألّفت الكاتبة الإسبانية كارمن لافوريت (1921 - 2004) رواية بعنوان «لا شيء»، سرعان ما جذبت انتباه النقّاد، ونالت جوائز عديدة، لأنّ مؤلّفتها، التي كانت تبلغ من العمر حينها 23 عاماً، استطاعت أن تعكس في سردها ذي الطابع الوجودي حالة الركود والفقر بعد الحرب الأهلية الإسبانية. أدرج العمل ضمن قائمة أفضل مئة رواية نسائية في القرن العشرين، ونُقل إلى السينما عام 1947، على يد المُخرج الإسباني إيدجر نيفيه.

بعد مرور ثمانين عاماً، ها هي المُخرجة الإسبانية بياتريز خاين تنقل الرواية إلى المسرح، لتُقدّم على خشبة «المسرح الوطني» في مدريد في سلسة عروض تتواصل حتى الثاني والعشرين من كانون الأوّل/ ديسمبر المقبل، وقد قام الكاتب والمُخرج المسرحي جوان ياغو بتكييف النصّ الروائي دراماتورجياً.

كلّ ما في ديكور الخشبة يُذكّرنا بتفاصيل الرواية: غرفة جلوس في منزل من طابقين، في الطابق العلوي غرفة نوم. نمط ورق الجدران واضح. الأثاث غير منظّم. في إحدى الزوايا، تتكدّس الكراسي والصناديق ومكتب، إضافة إلى بعض الأشياء المتراكمة. على اليمين، طاولة وبيانو وأريكة ومصابيح تنبعث منها أضواء خافتة. هكذا تخيّلت المؤلّفة المنزل الذي ستصل إليه بطلة العمل أندريا؛ الفتاة التي تبلغ 18 عشر عاماً. نحن في أيلول/ سبتمبر من عام 1939، وأندريا وصلت للتوّ إلى منزل العائلة في برشلونة لدراسة عامها الأوّل في الجامعة. لكنّ لا شيء في المنزل يشبه الجو الدافئ والسعيد الذي اختبرته وتعوّدت عليه عندما كانت طفلة. فالحرب تُغيّر لا المنازل وحسب، بل الأشخاص الذين يعيشون بين جدرانها أيضاً.

على مدى ثلاث ساعات، لن يسمع الحضور إلّا إيقاعات تُذكّر بكلّ ما يشير إلى الحرب أو ما بعدها: الأثاث والناس، إيقاع الأحلام المكسورة، النداءات البائسة، والرغبات التي لا تتحقّق. في وسط هذه الصورة البانوْرامية، كيف يمكن لفتاة تبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً أن تحافظ على قصّتها الخاصّة؟ وفي ظلّ الانهيارات الاجتماعية المتوالية في الأخلاق، والمعيشة، والعلاقات بين الأفراد، كيف يمكن للمرء أن يحمي أحلامه وأن يعيش دون ندبات؟

هذا هو التحدّي الذي قبلته مُخرجة العمل، حيث يبدو واضحاً الجهد الذي بذلته لإيجاد نقاط حوار بين الرواية التي كُتبت في الربع الأول من القرن العشرين وبين العالم المعاصر. وهنا نلاحظ أيضاً التدخّل في الدراماتورجيا؛ إذ إن ما استطاعت أن تتغلّب عليه أندريا في الرواية لن تستطيع تجاوزه في المسرحية وفي العالم المُعاصر: العنف الجنسي، اللغة الذكورية، صدمة التقدّم في السنّ، خيبة أمل الحُب، والألم الناتج عن اكتشاف أنّ الحب ليس كما نحلم به عندما نكون في الثامنة عشرة. مع ذلك، من يقرأ الرواية ويشاهد العرض سيلاحظ أن شخصية أندريا تحافظ على قطرة الضوء وعلى رغبتها في أن تكون مستقلّة في تحقيق أحلامها رغم ظروف الحياة التي تعاكسها. هذا هو صراع حياة أندريا، وهو صراع داخلي يجري التعبير عنه عن طريق المونولوغات الطويلة بصوت البطلة، ولكنّه سيلاحظ، في الوقت نفسه، أنّه صراع جيل بكامله نشأ بعد فترة الحرب الأهلية.

> ما تغلّبت عليه البطلة في الرواية لن تستطيع تجاوُزه في المسرحية

من العرض

فعاليات

عالم بلا رؤية ولا صوت: عِش التجربة عنوان العمل الذي قدّمته الفنّانة القطرية **نورة الشهواني** الاثنين الماضي في «غاليري مطافئ: مقرّ الفنانين» بالدوحة، ويتواصل عرضه حتى الخامس والعشرين من الشهر الجاري. يتناول العمل جانباً من مشاعر فاقدي البصر او السمع، وكيفية تجاوُز الرؤية والصوت في التفاعل معها.

يُختتم، مساء اليوم، في «المتحف الوطني الاردني للفنون الجميلة» بعمّان معرض **انت لست وحدك - الحركة العمّالية الاردنية: تاريخ مصوّر** للباحث والفنان الاردني **هاني الحوراني** (1945)، الذي افتتح الاربعاء الماضي. ترافق مع المعرض توزيع كتاب بالعنوان ذاته يوثّق تاريخ الحركة العمّالية ونقاباتها في الاردن ودورها في المشهد السياسي والاجتماعي منذ الخمسينيات.

تنظّم «النقابة المغربية للفنانين التشكيليين المحترفين»، عند الحادية عشرة من صباح الخميس المقبل، في «متحف محمد السادس للفن الحديث والمعاصر» بالرباط، المناظرة الوطنية الثانية بعنوان **الفنون التشكيلية والبصرية المعاصرة وصناعة المستقبل**. تناقش المناظرة السياسات الرسمية والمناهج التربوية وتخطيط المدن.

يُفتتح، غداً الاحد، في «متحف المتروبوليتان للفنون» بنيويورك معرض **رحلة إلى مصر: الفنّانون السود ومصر القديمة، 1876- الآن**، ويتواصل حتى السابع عشر من شباط/ فبراير المقبل. يضيء المعرض كيفية تفاعل الفنّانين السود مع الحضارة المصرية، من خلال اعمال بصرية ونحتية وموسيقية وصولاً الى فنون الاداء.